

# الحياة العلمية في الدرعية في عهد الدولة السعودية الأولى

الدكتور: عبد الله ابن محمد المنيف<sup>(\*)</sup>

- (\*) بكالوريوس آثار ومتاحف من كلية الآداب - جامعة الملك سعود عام 1409هـ.
- ماجستير في الآثار والمتاحف من كلية الآداب - جامعة الملك سعود عام 1417هـ.
- دكتوراه في الآثار والمتاحف من كلية السياحة والآثار - جامعة الملك سعود عام 1427هـ.
- يعمل الآن وكيلاً لكلية السياحة والآثار للشؤون الأكاديمية.

## المقدمة:

تقع مدينة الدرعية على سفوح جبال طويق في منتصف وادي حنيفة، وكانت تبعد عن مدينة الرياض نحو خمسة عشر كيلاً إلى الشمال الغربي منها. أما الآن فهي متصلة بها ولا يفصلها عنها إلا امتداد "طريق الملك خالد" شمالاً. يحدها شرقاً مدينة الرياض، وغرباً وادي حنيفة والمناطق الجبلية، وشمالاً طريق العمارة، وجنوباً حي عرقة، ويصل بينها وبين المحافظات الشمالية طريق صلبوخ الذي يفصلها عن مدينة الرياض. وهي واحة خضراء واسعة، بها كثير من مزارع النخيل، والبساتين، كما توجد فيها الآبار العذبة، التي تسقي بها تلك المزارع والبساتين، كما أن بها سداً حديثاً أقامته الدولة، وهو سد العلب<sup>(1)</sup>، وهو يحجز المياه المتدفقة من الوديان والشعاب، ثم يتم تسريبها إلى باطن الأرض؛ لتغذي المياه الجوفية في تلك المنطقة.

---

(1) العلب، يكسر العين وقد تفتح كما عند الفيروز آبادي، وإسكان اللام، فباء: معناه الأرض الغليظة التي لو مطرت دهرًا لم تنبت. الحموي. معجم البلدان، ج4، ص145، وابن خنيس. معجم اليمامة، ج2، ص173، الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب. القاموس المحيط: تحقيق مكتب التراث في مؤسسة الرسالة. - ط6. - بيروت: مؤسسة الرسالة، 1419هـ/1998م، ص117.

ومدينة الدرعية، كغيرها من المدن الإسلامية، تتكون من المسجد الجامع الذي يتوسط المدينة، ثم الأحياء السكنية فالسوق، وهذه العناصر هي التي تتكون منها المدن الإسلامية في الغالب. وكانت المساجد والأسواق تتعدد بحسب كبر مساحة المدينة وصغرها. ولا يعرف التاريخ الحقيقي الذي بدأ فيه معرفة الوضع الذي تقع فيه هذه المدينة التي أطلق عليها مسمى الدرعية؛ فقد ورد أن هذا الموضع كان يُعرف بعدد من الأسماء منها الضيق<sup>(1)</sup> وغبراء<sup>(2)</sup>.

ويبدو أن التسمية بالضيق لوجود هذا المكان في مضيق وادي حنيفة أو الشعيب الذي يحير مأوّه ويتجمع قبل أن يكمل تدفقه في الوادي. وبعد مدة من الزمن تغير اسم بلدة غبراء أو غبراء بحسب الروايات الشفوية إلى العودة ومن ثم إلى الدرعية. ولعل أقدم تاريخ مدون ترد فيه تسمية المدينة باسمها الدرعية يعود لعام 981هـ/ 1573هـ<sup>(3)</sup>. ثم نجد أيضاً في نهاية القرن الحادي عشر الهجري، أن ذكر مدينة الدرعية يتكرر بوصفها إحدى القصبات في نجد العارض، مقرونة بذكر أسماء شيوخها آل مُريد، محددًا مكانها على أنها تقع في أعلى وادي حنيفة<sup>(4)</sup>.

تتكون مدينة الدرعية من أحياء كثيرة<sup>(5)</sup>، أهمها حيان كبيران متقابلان، الحي الغربي وهو الحي المعروف بالطريف<sup>(1)</sup>، الذي توجد به قصور الأئمة من آل سعود وحاشيتهم، والحي الشرقي وهو الحي

(1) الضيق الآن مر يبدأ من شعيب البليدة على وادي حنيفة مقابل لغصيبة من جهة الغرب، ويمتد هذا الممر باتجاه الغرب إلى أن يصل إلى مزرعة آل خميس، ثم يتجه جنوباً حتى يتخطى مزارع آل ناصر، ومزارع آل عواد، ثم يعود بعدها متجهاً شرقاً إلى أن يلتقي مرة أخرى بوادي حنيفة، ويعرف سكان تلك المواضع حتى الآن بـ: أهل ضيق.

(2) استناداً إلى ما ورد في: مخطوط من دون عنوان، يرجح أن لراشد بن حنين، يقع ضمن مجموع، ص 65، صورتها لدى الباحث، ولا علم لها أصلاً بمخطوطا حتى الآن، وسوف أشير له فيما بعد باسم: ابن حنين. وغبراء: شعيب يقع بالقرب من الضيق، وهما شمال الدرعية القديمة، ويبدأ من ظهرة القبيلة غرباً ثم يصب شرقاً، إلى أن يصل إلى وادي حنيفة. ابن خميس. معجم الإمامة، ج2، ص213.

(3) الأرشيف العثماني، دفتر مهمة رقم 23، صفحة رقم 136، حكم رقم 341.

(4) ابن براهيم الدمشقي، أبو بكر. جزيرة العرب في كتاب مختصر الجغرافيا الكبير؛ ترجمة مسعد بن سويلم الشامان. - ط1. - الرياض، مركز حمد الجاسر الثقافي، 1428هـ/ 2007م، ص280-281.

(5) عن هذه الأحياء انظر: المطوع، عبد الله محمد. مجتمع الدرعية في عهد الدولة السعودية الأولى. - ط1. - الرياض: الجمعية التاريخية السعودية، الإصدار الرابع عشر، المحرم 1424هـ/ مارس 2003م، ص27-82. والأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية، دارة الملك عبد العزيز. - ط2. - الرياض؛ الدارة، 1421هـ، ص88-89.

المعروف بالبحيري<sup>(2)</sup>، الذي كان يسكنه الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأبنائه. ولقربهما من بعضهما، كان الإمام محمد بن عبد الوهاب، رحمه الله، يلقي دروسه في مسجد الطريف، وهو المسجد القريب جداً من قصر الإمام محمد ابن سعود، ومن بعده ابنه الإمام عبد العزيز، ثم الإمام العالم سعود بن عبد العزيز، الذي تتلمذ على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعلى أبنائه من بعده.

## الوضع العلمي العام في الدرعية:

لا تقدم المصادر المعاصرة - باستثناء ابن بشر - معلومات دقيقة عن الحياة العلمية في الدرعية، عاصمة الدولة، والطريقة التي تدار بها الدروس، بل كان التركيز في غالب تلك المصادر على الجانب الحربي والغزوات، بالإضافة إلى المراسلات بين الشيخ محمد ابن عبد الوهاب وعلماء الدعوة من أبنائه والمعاصرين لهم، وبين المعارضين للدعوة داخل الجزيرة العربية وخارجها، تتضمن شرح مبادئ هذه الدعوة وأصولها، والتأكيد على أنها دعوة تجديدية.

ومع أهمية الدور الذي قام به الإمام محمد بن سعود في دعم الحركة العلمية وتأييدها في نجد، ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، إلا أننا نجد أن أهم مؤلفي التواريخ النجدية، وعلى غير عادتهم لم يفيضوا في الحديث عن سيرته، ولم يوضحوا لنا مراحل حياته مثل غيره من الأئمة، إذ نجد أن ابن بشر على سبيل التمثيل يذكر عند وفاة الأئمة بعضاً من سيرتهم وشجاعتهم وأمرائهم على البلدان، وكذلك قضائهم، إلا أنه لم يذكر شيئاً من ذلك عن الإمام محمد بن سعود، ولعل ابن بشر اعتمد في ذلك على

- (1) حي الطُّرَيْفُ: يضم الطاء المشددة، وفتح الراء، وإسكان الياء، فقاء. اشتق اسمه ربما لوجوده على طرف جبل من الجبال التي تطل على وادي حنيفة، ويقابله من جهة الشرق حي البحيري، وهو مقر الحكم ومنزل حكام الدرعية ومستقر قصورهم ودورهم، وحي البحيري مقر الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأبنائه وطلبة العلم في ذلك الزمن. لا يعرف الزمن الذي أنشئ فيه على وجه اليقين، وهو محاط بسور محكم التحصين؛ للمزيد من المعلومات ينظر: المغنم، علي بن صالح، حي الطريف التاريخي بالدرعية، وثيقة حضارية أثرية في تاريخ المملكة العربية السعودية الوطني، (انظر: عدد مجلة الدرعية الخاص عن تاريخ مدينة الدرعية). القحطاني، فاطمة بنت حسين. حصار إبراهيم باشا للدرعية وسقوطها 1233هـ / 1818م، رسالة ماجستير، غير منشورة، قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، شوال 1427هـ، ص 157، وص 170-172. وابن خميس. معجم اليمامة، ج 2، ص 113. وللمزيد عن وصف هذا الحي ينظر: المطوع. مجتمع الدرعية في عهد الدولة السعودية الأولى، ص 49-61.
- (2) يقع حي البحيري على الضفة الشرقية من وادي حنيفة، إلى الشرق من حي الطريف، ولا يفصل بينهما إلا الوادي. للمزيد ينظر: المطوع. مجتمع الدرعية في عهد الدولة السعودية الأولى، ص 63.

ما كتبه المؤرخ المعاصر للأحداث وهو ابن غنام، الذي لم يزد ما أورده عن الإمام محمد بن سعود عند وفاته على سطرين فقط تضمننا الإشارة إلى شهر وفاته وسنتها<sup>(1)</sup>.

أما الطريقة التي كانت تدار بها حلقات العلم، أو كيفية التعليم وطريقة فلم يرد في تاريخ ابن غنام أي شيء، مما يساعد على تغطية هذا الجانب. أما ابن بشر فقد أشار بشيء من الاقتضاب إلى بعض الدروس عند حديثه عن الإمام محمد بن سعود، والإمام عبد العزيز بن محمد، إلا أنه توسع بعض الشيء فيما يخص الإمام سعود بن عبد العزيز الذي ذكر عنه كثيراً من صفاته واهتماماته العلمية. وكان من النشاطات المتعددة التي يحضرها الإمام سعود هي حضوره مجالس العلم المتعددة، كان أحدها عند الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حيث كان الإمام سعود مستمعاً.

أما مجلس ما بعد صلاة العصر، فكان غالب حضوره هم من أسرة آل سعود، وكان يشرع التدريس فيه الإمام سعود نفسه عقب قراءة من إمام مسجد الطريف. وبعد أن يفرغ القارئ ينهض الإمام سعود ويشرع في الكلام على تلك القراءة، وتحقيق كلام العلماء والمفسرين، ويصف ابن بشر هذا الموقف بقوله: "فيأتي بكل عبارة فائقة، وإشارة راقية، فتتمد إليه الأبصار، وتحير من فصاحته الأفكار، وكان من أحسن الناس كلاماً، وأعذبهم لساناً، وأجودهم بياناً"<sup>(2)</sup>.

كان الإمام سعود يلقي درساً آخر بعد صلاة المغرب، ومكانه سطح المسجد الذي بداخل قصره، يحضره إخوانه وأبنائه وغالب أهل بيته وخواصه، بالإضافة إلى أهل الدرعية وأهل الأمصار المتواجدين ساعة الدرس، كما كان يستمع في هذا الدرس أيضاً إلى صحيح الإمام البخاري بشرح الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب<sup>(3)</sup>.

(1) ابن غنام؛ تحقيق ناصر الدين الأسد، ص129، وابن بشر، ص81.

(2) ابن بشر، عثمان بن عبد الله. عنوان المجد في تاريخ نجد، ص218.

(3) المرجع السابق، ص218.

وقد بلغ من عناية الأئمة بالعلم أن قام الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود بتشجيع الطلاب الصغار إلى إجادة حسن خطهم وذلك ببذل الهدايا والهبات، فمن كان خطه أكثر جمالا كان عطاؤه له أكبر من غيره، وعن هذا يقول ابن بشر: "وكان الصبيان من أهل الدرعية إذا خرجوا من عند المعلم يصعدون إليه بألواحهم ويعرضون عليه خطوطهم فمن تحاسن منهم خطه أعطاه جزيلا وأعطى الباقين دونه"<sup>(1)</sup>. كما أشار أحد الرحالة إلى أن من كان ينتدبه الأئمة إلى المدن في الجزيرة العربية كانوا يتلقون علمهم في الدرعية ابتداءً وعلى نفقة الإمام نفسه<sup>(2)</sup>.

## مراحل التعليم وأماكنه في الدرعية:

تتعدد طرق التعليم بحسب المراحل العمرية والمكانية والغايات من التعليم، فالمرحلة الأولى هي: مرحلة تعليم الصبيان، وهذه في الغالب تتم في الكتّاب<sup>(3)</sup>، ومعلم هذه المرحلة يعرف في نجد بأسماء متعددة أشهرها المطوع<sup>(4)</sup>.

(1) المرجع السابق، ص 176.

(2) فالين، جورج أوغست. صور من شمال جزيرة العرب في منتصف القرن التاسع عشر؛ ترجمة سمير سليم سبلي. - ط 1. - بيروت: أوراق لبنانية، 1971م، ص 53.

(3) الكتّاب: بضم الكاف وتشديد التاء، ويجمع على كتّاب، هو موضع التدريس وهو مكان تعليم الصبيان القراءة والقرآن والكتابة. وأشار ابن منظور في لسان العرب إلى أن موضع تعليم الكتّاب هو المكتب والكتاب، والجمع الكتّاب والمكاتب. ونقل عن الميرد قوله: إن المكتب موضع التعليم، والمكتب المعلم، والكتّاب الصبيان، وأن من جعل الموضع الكتّاب. فقد أخطأ. (12/ 23) 0- ط 20- دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، 1418هـ/ 1997م. مادة (كتب).

أما الفروز أبادي في القاموس المحيط فيقول: إن موضع التعليم هو المكتب، ص 128 0- ط 6- بيروت: مؤسسة الرسالة، 1419هـ/ 1998م. مادة (كتب).

كما يعرف هذا المكان في نجد أيضا بأسماء منها القرّاية. ناصر الحميضي. القصب. - ط 2، ص 98. وقد يعرف أيضا بالمديرية. انظر: عبد الرحمن البليهد. غسلة بالقرائن: بلد الأجداد من الآباء والأجداد. - ط 1. - الرياض: دار الفیصل، 1422هـ/ 2002م، ص 124، وقد يعرف بالمكتب عند أهل حائل، انظر: المطلق، لطيفة. الحياة العلمية في نجد وأثرها على المجتمع في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب للبنات بالدمام، الرئاسة العامة لتعليم البنات، 1415هـ/ 1994م، ص 1010.

(4) فمن الأسماء المرادفة في حائل للمطوع: الخطيب. انظر: السويداء. نجد في الأمس القريب صور وملامح من أطر الحياة السائدة قبل ثلاثين عاما. - ط 1. - الرياض: دار العلوم، 1403هـ/ 1983م، ص 209؛ كما يعرف في القصب بالمقري، انظر: الحميضي. القصب. - ط 2. - ص 98؛ أما في الأفلاج فقد يعرف بالجد، انظر: إبراهيم بن صالح المجادة الدوسري. الأفلاج، ص 113؛ كما

لا يغيب عن الذهن أن التعليم كان في الغالب يتم في أماكن متعددة بحسب المناطق، إضافة إلى رغبة المطوع نفسه وإمكاناته؛ إذ كانت أماكن التعليم على سبيل التمثيل تتم في المنزل، أي منزل صاحب الكتاب، ثم تطور بعد ذلك إلى أماكن كثيرة منها المساجد، إلا أن المسجد في الغالب كان يفضل عدم استخدامه في المرحلة الأولى التي يدرس فيها الصبيان مكاناً للتعليم لما قد يبدو منهم من عدم اهتمام بنظافته، أو إزعاج المصلين أو من يقومون بقراءة القرآن في المسجد، أو خشية التشويش على طلاب المراحل اللاحقة الذين يتخذون حلقات المساجد مكاناً للتعليم على يد علماء مطلعين، وليس على يد معلمي الصبيان كالمطوع على سبيل المثال.

وعملية استبعاد المسجد مكاناً لتعليم الصبيان الصغار أمر قديم، إذ ينقل عن الإمام مالك قوله: "... لا أرى ذلك يجوز، لأن الأطفال لا يتحفظون من النجاسة"، كما جاء عند أهل الحسبة قولهم: (لا يستحب تعليم الأطفال في المسجد خشية أن يقوم هؤلاء الأطفال بتسويد حيطانها)<sup>(1)</sup>. واستمر عدم التفضيل في غالب العصور الإسلامية، فالعصر الأيوبي مثلاً يذكر فيه حسن شمساني قائلاً: "كتائب الأطفال هذه كانت تقوم في الغالب إلى جانب المسجد - وليس في المساجد - ثم أريد لها أن تكون بعيدة عنه مسافة، وذلك لتفادي الإزعاج الذي يسببه الأطفال لرواد المسجد من طلبة ومتعبدين"<sup>(2)</sup>، واستمر هذا حتى العصور العثمانية في الحجاز<sup>(3)</sup>.

ومع هذا فقد مارس بعض المعلمين عملية تعليم الطلاب في المساجد، بحجة أن الطالب في سن التعليم قد جاوز الطفولة المبكرة، وأصبح مدركاً لأثر النجاسة في المسجد، وإن كان الظاهر من المنع هو

يعرف في أشقير بمثل ما يعرف بالقصب، انظر: ابن عيسى. مجموع مخطوط، بدون عنوان، ص98؛ انظر أيضاً: البسمي، عبد الله. العلماء والكتاب في أشقير، ص2، والتسمية بالجد فيما يبدو جاءت من الجنوب حيث يعد أحد الأسماء للمطوع في منطقة عسير، انظر: أبو داهش، عبد الله بن محمد. الحركة العلمية والأدبية بمنطقة عسير في عهد الملك عبد العزيز (1338-1373هـ). - ط1. - أبها: مطابع الجنوب، 1421هـ، ص29.

(1) نقلاً عن: ابن دهيض. الكتائب، ص45.  
(2) شمساني، حسن، مدارس دمشق في العصر الأيوبي، ص8، 9. نقلاً عن مقالة محمد بخات بعنوان: "الكتائب القرآنية وتجربة مديدة في آفاقها، مجلة المنهل. ربيع الآخر - جمادي الأول 1409هـ، ص467، السنة 55، مج50، ص178.  
(3) كردي، محمد طاهر. كتاب التاريخ القويم لمكة وبيت الله الكريم. - مكة المكرمة: مكتبة النهضة الحديثة، 1412هـ، ج6، ص182.

عدم الإزعاج للمصلين والزوار, وليس الخشية من النجاسة. أما في الدرعية, فقد كانت أماكن تعليم الطلاب متعددة بحسب إمكانات المطوع نفسه أو إمكانات المدينة وأولياء الطلاب أنفسهم. ولعل أشهر الأماكن التي كانت تتم فيها عملية التعليم في هذه المرحلة هي:

- 1- الغرف الملحقة بالمساجد.
- 2- منازل المعلمين (المطوعين) بحيث يخصص المطوع غرفة أو جزءاً من بيته يكون مكاناً للدرس يراعي فيه أن يكون جيد التهوية ومظلاً على الشارع.
- 3- أرض فضاء تحت ظل شجرة خارج البلد, أو الباطن مكاناً للدرس<sup>(1)</sup>, إذا لم يتيسر وجود مكان مما سبق.
- 4- مكان خارج سور البلد.
- 5- إحدى زوايا السوق العام للبلدة مكاناً للتدريس.
- 6- قد يكون التدريس في حوش بالقرب من مقر أمير البلد.
- 7- كما قد تكون الدراسة متنقلة في مكانين في اليوم الواحد<sup>(2)</sup>, أو أن تتخذ بعض الأماكن التجارية في المساء مدرسة<sup>(3)</sup>.

فالمدرسة المكشوفة إذن يكون وضعها متغيراً بحسب فصول السنة, إذ غالباً ما يستعاض عن الأماكن المكشوفة بأماكن مغلقة في فصل الشتاء ومسقوفة, تقى حرارة الشمس في الصيف, والمطر في

(1) ابن قاسم. الدرر السنية, 88/14.

(2) الجاسر, حمد. طريقة التعليم. المجلة العربية, ع116, س11, ص8.

(3) الجاسر, حمد. مقالة بعنوان: "مدرسة الصقعي". المجلة العربية, الحلقة رقم (20) من "سوانح الذكريات", ع121, سنة 11, ص8.

الشتاء، كما قد يتكفل بعض أولياء أمور الطلاب ببعض الضروريات مثل الحطب وجلبه لمكان الدرس لتدفئة الطلاب عند اشتداد البرد<sup>(1)</sup>.

أما المرحلة الثانية من التعليم: فكما أنها تتغير فيمن يقوم على تقديمها ومحتواها وما يقدم فيها من مواد تعليمية ومفردات علمية متنوعة، فهي كذلك تتغير في المكان المفضل للتعليم، حيث إن هذه المرحلة يستهدف بها الطلاب الراغبون في مواصلة التعليم بعد إتمامهم المرحلة السابقة بنجاح، ويترتب عليه - بحسب رغبة الطالب، إضافة إلى رغبة أهله - أن ينتقل إلى مرحلة حلقات المساجد التي تعقد على أيدي علماء سبق أن تتلمذوا على شيوخ سواء من أهل المنطقة أو من خارجها، أو سافروا إلى خارج الجزيرة العربية لطلب العلم وعادوا إلى بلدانهم مؤهلين؛ لتدريس المواد الشرعية والعلمية المختلفة.

لهذا وضع الفرق بين ما كان يقدم في الكتاب الذي أول أهدافه هو إزالة الأمية بتعلم القراءة والكتابة وقراءة القرآن وتعلم بعض أنواع الحساب، وليبيان أن مرحلة الجلوس عند العلماء في حلقات المساجد تلي مرحلة الكتاب، نستشهد بقول الإمام الشافعي: "إن أمة كانت تعجز عن دفع الأجر لصاحب الكتاب، وأنه كان يكتفي منه بنيايته عنه إذا قام، فلما ختم القرآن دخل المسجد فجلس إلى العلماء"<sup>(2)</sup>.

والتعليم في هذا المرحلة يُعدُّ متقدماً عن المرحلة السابقة، ومسألة تيسره لجميع الطلاب أمر غير سهل البتة؛ إذ يتطلب توافر مؤهلات علمية وموهبة كبيرة ورغبة جامحة في التعليم؛ فضلاً عن توافر المال المعين على إتمام هذه المرحلة بالنسبة للطالب، لهذا نجد إشارات مهمة تدل على تذليل مثل تلك المصاعب، مثل سعي الإمام سعود بن عبد العزيز في تكليف أمراء بعض المدن والقرى النجدية بالبحث عن طلبة العلم وحثهم على إتمام التعليم وبذل ما يكفيهم من المال وغيره، مما يشجعهم على عدم

(1) السويداء، عبد الرحمن بن زيد. نجد في الأمس القريب، صور وملامح من أطر الحياة السائدة قبل ثلاثين عاماً، ص210.

(2) أحمد أمين. ضحى الإسلام (51/2)، نقلاً عن: عبد العزيز غنيم. الكتابات في الإسلام: نشأتها وتطورها، مجلة المنهل، ربيع الآخر، جمادي الأولى، 1409هـ، ع567، السنة 55، المجلد 50، ص189.



الانقطاع عن طلب العلم<sup>(1)</sup>. ففي بعض المناطق النجدية كان التعليم يتم على حلقات في مكان يطلق عليه المدرسة، وتكون ملاصقة للمسجد خاصة الجامع منها أو بعيدة عن قليلا، وكان كثير من أهالي بعض المناطق التي توجد فيها مثل هذه الأماكن المعروفة بالمدرسة يجرون لها الأوقاف، ويهيئون لها السبل لمساعدتها للقيام بمهمتها على أحسن وجه، وجل هذا الوقف مصدره الأهالي وليس الحكومات المحلية، إن صح التعبير عنها بذلك، ولعل ما رصدته لنا الوثائق الوقفية في منطقتي الوشم وأشيقر على سبيل التمثيل يبرز ذلك البعد التعليمي غير الغائب عن أذهان من أجرى تلك الأوقاف<sup>(2)</sup>، تحقيقا لقول المصطفى صلى الله عليه وسلم: "إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم يُنتفع به، أو ولد صالح يدعو له"<sup>(3)</sup>.

وقد تعقد هذه المجالس في المساجد الجامعة في البلد، أو في المسجد الذي يقيم فيه عالم من العلماء المبرزين في فن من الفنون، وليس شرطاً أن يكون مسجداً جامعاً، ووقت عقد مثل هذه الحلقات مرتبط بأوقات الصلوات الخمس، حيث يبدأ التدريس أو انعقاد حلقة العلم فيها وفق التالي:

1- بعد شروق الشمس حتى ما قبل الظهر.

2- بعد صلاة الظهر.

3- بعد صلاة العصر.

4- بعد صلاة المغرب.

5- بعد صلاة العشاء.

(1) ابن قاسم. الدرر السنية 29/14، 30. "وأنتم خابرين: أي قد لزمتم على كل أمير ناحية، يخص على خمسة عشر، أو أكثر، أو أقل، من أهل بلدانه، ويلزمهم طلب العلم؛ لأنه أمر ضروري... ولا أعذر كل أمير ناحية، إلا عنده مخصصين ويلزمهم طلب العلم، ويكتب لنا أسماءهم في ورقة، ونوصلهم -إن شاء الله- ما يعاونهم على معيشتهم...".  
(2) عن أوقاف المدارس ينظر: البسيمي، عبد الله. العلماء والكتاب في أشيقر، في الصفحات: (24/1، 32، 34، 36، 39)، انظر أيضاً: اليوسف، سعود. من آثار علماء أشيقر، الصفحات: 123، 187، 257، 260، 267.  
(3) رواه مسلم في باب: (ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته)، رقمه (4223). انظر: صحيح مسلم - ط2 - الرياض: دار السلام.

ويجدر بنا الإشارة إلى أن حلقة ما بعد صلاة المغرب غالباً ما تكون مخصصة للوعظ العام؛ أي دروس العامة، مع قراءة طلاب الشيخ عليه خلال هذا الوقت.

في حين أن درس ما بعد صلاة العشاء يغلب عليه القصر، ويحكم ذلك الاتفاق بين الطلاب والشيخ في هذا الجانب، كما يحكم ذلك وجود أكثر من عالم في الجامع نفسه وتعدد الفنون المدروسة فيه، إذ كان تعدد المشايخ في الدرعية يؤثر في تعدد الحلقات وتنوع الموضوعات. وكان لبقاء العالم في الجامع، طولاً وقصراً، أكبر الأثر في مكوث الطلاب عنده أو انتقالهم إلى عالم آخر. وهناك بعض العلماء يكثر تنقلهم بين البلدان النجدية للوعظ والتدريس، أو تسنم القضاء في الحواضر النجدية بأمر من الأمير أو برغبة من سكان تلك الأقاليم، مما يؤثر عليه في قلة طلابه الذين يدرسون عليه، أو قد ينتقل طلابه معه للأخذ عنه، وإن كانوا قلة.

وتتنوع مجالس الدرس في الدرعية بين ما يأتي:

#### 1- المجالس العامة.

#### 2- المجالس الخاصة.

فبالنسبة إلى المجالس العامة التي يحضرها الإمام سعود، وأعمامه، وبعض أبنائه، وكثير من حاشيته، وهذه في الغالب يُختار لها مكان واسع لكثرة الحاضرين للدروس؛ لأن المسجد لا يتسع لهم فيكون مكانهم كما أشار إلى ذلك ابن بشر في الباطن في مكان يعرف بالموسم، أي السوق، ثم ذكر أن أي موقع يختار لإلقاء الدروس يُعتمد على الفصل الذي تلقي فيه الدروس، فإن كان الفصل صيفاً، كان المكان بالقرب من الدكاكين الشرقية، وإن كان الفصل شتاءً كان المكان بالقرب من الدكاكين الغربية،

وذلك لكي يستفيد من فصل الصيف بالظل ومن الشتاء بشمسه الدافئة<sup>(1)</sup>. وبعد انقضاء الدرس ينهض الإمام سعود لقضاء حوائج رعيته إلى قبل الظهر.

ويلاحظ أن الإمام سعود كان قد اتخذ مكاناً يمكن أن يطلق عليه كُتّاباً أو مدرسة، قام ببنائه داخل قصره يجمع فيه أكثر أبنائه وخاصته، وموقع هذا المكان بين باي القصر الداخلي والخارجي، وذكر ابن بشر أن مساحته تقدر بخمسين سارية، ومكانه ما بين باي القصر نفسه. وكان جلوس المتعلمين في هذا المكان على ما يعرف الآن بالمدرجات بحيث أصبح هناك ثلاثة مستويات للجلوس بالإضافة إلى الجلوس على الأرض إن زاد عدد المتعلمين. ويقول ابن بشر عن طريقة هذه المدرجات: "جعل مجالسه ثلاثة أطوار كل مجلس فوق الآخر، فمن أردا الجلوس في الأعلى أو الأوسط أو الذي تحته أو فوق الأرض اتسع له ذلك"<sup>(2)</sup>، ولعل مما ساعد على ذلك طبيعة تضاريس المنطقة، إذ إن حي الطريف ينحدر باتجاه الشرق حتى يصل إلى الوادي.

هذا ما ذكره ابن بشر عند ذكره لأماكن الدرس من دون أن يتوسع فيها. أما الشيخ عبد الرحمن بن حسن، فكان قد أشار إلى بعض أماكن تلك الدروس، وأسماء العلماء الذين كانوا يجلسون فيها، وإن الفرق بين المجلس الذي يحضره الأئمة وبين الذي يحضره أبناء الشيخ محمد، فالأول: مكانه بالقرب من مسجد البجير، والثاني: في الباطن، وهو خاص فقط بأسرة آل الشيخ، ووقته بين العشاءين<sup>(3)</sup>.

ويغلب على الدرس الذي كان يلقيه الإمام سعود<sup>(4)</sup> أن لا يحضره من أبناء الشيخ محمد أحد؛ لأن كل واحد منهم كان مشغولاً بدروس خاص به، ويستمر هذا الدرس إلى قبيل العصر. وكان يشارك الإمام سعود في التدريس إما إمام مسجد الطريف، وإما إمام مسجد القصر. وكان غالباً ما يُقرأ في

(1) ابن بشر. عنوان المجد في تاريخ نجد، ص 216.

(2) ابن بشر. عنوان المجد في تاريخ نجد، ص 217.

(3) ابن قاسم. الدرر السنية، 14 / 87، 88.

(4) انظر حديث بوركهارت عن دروس الإمام سعود في كتابه. ملاحظات عن البدو والوهابيين؛ ترجمة غاندي المهتار. - بيروت: دار الانتشار العربي، 2005م، ص 167.

الدرس تفسير ابن كثير أو كتاب رياض الصالحين للنووي، ثم يشرع الإمام سعود بعد القراءة فيشرح ما تمت قراءته ويأتي بعلم غزير يدل على علو همته في العلم وسعة اطلاعه<sup>(1)</sup>.

أما ما يمثل المجالس الخاصة فهو ذلك الدرس الذي كان يعقد بعد صلاة المغرب مباشرة، فكان مَقَرَّة كما يشير أحد المعاصرين سطح قصر الإمام سعود، ويبدو أن هذا الدرس يعقد في فصل الصيف. أما من كان يحضر هذا الدرس فيبدو أنهم خاصة الإمام وأهل بيته وبعض العلماء آل الشيخ. أما الدرس الذي يُلقَى فيه، كما أشار ابن بشر، فهو شرح صحيح البخاري، والشارح هو الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب<sup>(2)</sup>.

ومما يؤسف له أن المصادر التاريخية النجدية لم تتوسع في ذكر تلك المجلس التي كانت تعقد للتعليم والتدريس في الدرعية في أماكن غير المساجد؛ إلا أن تلك الأماكن، التي يظهر أنها على هيئة مدارس أو كتاتيب لم توصف أو يذكر مخططها أو كيفية الجلوس فيها جميعاً. ويُعتقد أنها كانت من الكثرة بمكان أنها كانت بعدد أبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الذين جلسوا للتدريس في أماكن معينة ومحددة. وكان لكل عالم منهم مدرسته بالقرب من بيته، كما أشار ابن بشر، وكانت النفقة عليها من بيت مال المسلمين<sup>(3)</sup>. ويدل ذلك على أن هناك رواتب كانت تُصرف للمعلمين وللطلاب المتفرغين للدراسة من أهل الدرعية أو من أبناء المناطق الوافدين عليها والذين قد تطول إقامتهم للتعلم في الدرعية أو تقصر. كما أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان قد اختص الأئمة المعاصرين له وأبناءؤهم بدروس خاصة على فترتين لهم وحدهم، وكان مكان هذه الدروس في بيت الشيخ محمد نفسه<sup>(4)</sup>.

ومع ذلك نجد في بعض المصادر التي تعني بالمراسلات بعض الفوائد التي يظهر منها ذكر تفاصيل تفيد في معرفة بعض الأماكن التي كانت تلقي فيها بعض الدروس، وخير مثال على ذلك تلك

(1) ابن بشر. عنوان المجد في تاريخ نجد، ص 218.

(2) ابن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد، ص 218.

(3) ابن بشر. عنوان المجد في تاريخ نجد، ص 222.

(4) لمع الشهاب، ص 33.

الرسالة التي كتبها الشيخ عبد الرحمن بن حسن، ووجهها إلى الإمام فيصل بن تركي، ويذكره فيها بحال التدريس في الدرعية قديماً، إذ جاء فيها: "وأما حالهم في الدرعية، فبنوا مُجَمَّعاً حول - مسجد البحيري - محلة معروفة إلى اليوم، يسع له قدر مئتي رجل، وجعلوا فيه رفاً للنساء، فإذا صلوا الصبح أقبلوا لهذا المجمع، وفيه "معامل" وقهوة وما نأكلها، مقيم به من بيت المال"<sup>(1)</sup>.

وعلى العموم، فقد تعددت أماكن التعليم في الدرعية، كما تعدد المعلمون، فالدرس الأول كان يعقد في السوق وهو عام وموعده صباحاً. أما درس بعد الظهر فكان في قصر الإمارة. أما الدرس الثالث الذي يعقد بعد المغرب فكان يعقد في مسجد القصر. كما تميز كل درس من هذه الدروس بعلم أو كتاب خاص يشرح في شرحه وتدرسه مع المواظبة عليه في حال السلم<sup>(2)</sup>.

## مدة الدراسة وطرقها:

المدة الزمنية التي يقضيها طالب العلم في هذه الحلقات غير محددة، وتحكمها ظروف متعددة، لهذا يصعب تحديد المدة الزمنية التي يمكن أن يستغرقها طالب العلم في هذه المرحلة. على أن بعض الباحثين ذهب إلى أن مدة الدراسة على الشيخ تتراوح ما بين أربع سنوات وست، وأرجع ذلك إلى ما يأتي:

1- المقدرة الذهنية للطالب وسرعة إلمامه<sup>(3)</sup>.

2- رغبة الشيخ أو العالم في بقاء الطالب مدة أطول.

3- نوع الكتب المدروسة.

4- رغبة الطالب في المزيد من العلم.

(1) ابن قاسم. الدرر السنية، 87/14.

(2) النويصر، محمد. الجانب العلمي لدى أئمة الدولة السعودية الأولى، ص18. وابن قاسم. الدرر السنية، 88/14، 87.

(3) السلطان. محمد. عنيزة. - ط. - الرياض: الرئاسة العامة لرعاية الشباب، 1419هـ/ 1999م، ص77.

نجد أن بعض العلماء عندما يرى أن طالبه قد أتم العلوم على يديه يأمره بالانتقال إلى حلقات أخرى، يمكن أن يفيد منها أكثر، أو يكلفه بالعودة إلى بلده إن كان من أهل الآفاق، أو يكلفه بالتدريس في جامع آخر، ليستفيد منه عدد أكبر من الطلاب. وقبل أن يتخذ الطالب أي خطوة في الانتقال يرغب إلى شيخه أن يزكيه بورقة مكتوبة تدل على علمه وثقة الشيخ به، ويحاكي عدد من علماء الدرعية في هذا الفعل غيرهم من علماء الأقطار الإسلامية الأخرى، فيطلب التلميذ من شيخه إعطاءه إجازة إما مطولة، وإما مختصرة يذكر فيها المجيز (أو الشيخ) الفنون التي أخذها، وعمن أخذها، ثم يجيز تلميذه فيها، وهذه مرحلة متقدمة لم يقدم عليها من علماء الدرعية إلا القليل من الذين رحلوا في طلب العلم خارج نجد، ووجدوا أن هذا الأمر متبع في غالب أقطار العالم الإسلامي، فرغبوا في تقليد ذلك.

ويقدم خلال هذه المرحلة العلوم الشرعية واللغة العربية، ويعتمد هذا على القاعدة المشتركة بين الشيخ والطالب، فكلما كان هناك عالم مبرز برزت معه تلك العلوم التي يقدمها، ناهيك عن الاستعداد لدى الطلاب ومدى مجاراتهم للشيخ، ولم يكن هذان العلمان هما المقدمين فقط، بل قد تتخلل بعض حلقات العلم تدريس علوم كثيرة، منها: السيرة النبوية، والحساب والفلك، والجغرافيا، ولعل المطلع على ما بقى من مخطوطات إما نسخاً وهو الأكثر، أو تأليفاً في هذه الجوانب المختلفة من العلوم يدرك أن العلوم الشرعية واللغة العربية لم تكن هي الوحيدة فقط في حلقات العلم في الدرعية.

وطريقة التدريس في هذه المرحلة كغيرها من طرق التدريس المعروفة في العالم الإسلامي على

ثلاث طرق:

**الأولى:** أن يقوم الشيخ بقراءة أحد شروح الكتب المعتمدة، ثم يقوم بالتعليق على الشرح، وإيضاح ما يحتاج إلى زيادة بيان، مع محاولة ضبط النص عند القراءة ليتبين للطلاب ذلك.

الثانية: هي قراءة أحد الطلاب كتاباً، ويتولى التعليق عليه الشيخ أو الإمام الحاضر في الدرس، كما فعل ذلك الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد، وتكون القراءة متأنية ومتقطعة للكتاب المراد شرحه والتعليق عليه<sup>(1)</sup>.

الثالثة: هي أن يقوم الشيخ بإلقاء الدرس على الطلاب بعد التحضير لذلك، وحشد النصوص المعينة على ذلك، وغالب من يقوم بذلك هم العلماء الذين يكون هدفهم إخراج شروحهم على الكتب في كتب مستقلة، تنسخ بعد ذلك وتوضع عليها أسماؤهم. وأشهر طريقة عند علماء الدرعية هي الطريقة الثانية، على أن كل الطرق الثلاث السابقة قد عمل بها.

ويكون تجمع الطلاب على هيئة حلقة حول الشيخ لسماع ما يقوله لهم بوضوح، وقد تتعدد حلقات الدرس في المسجد الواحد، لهذا يتخذ لكل حلقة زاوية من زوايا المسجد بحيث لا تشوش إحداها على الأخرى. وقد شاعت هذه الطريقة في التعليم في العالم الإسلامي بأكمله، وشاعت في الدرعية بالطريقة نفسها. ومع وجود بدائل تعليمية لهذه الطريقة إلا أنها ما زالت تؤدي في كثير من أنحاء العالم الإسلامي، مع دخول بعض الوسائل والتقنيات الحديثة المعاصرة.

### العلوم التي كان يتعلمها طلبة العلم في الدرعية:

اعتنى أهل الدرعية، كسائر المسلمين، بتعلم القرآن الكريم وتعليمه للصبيان وللکبر نساء ورجالاً. وكان القرآن الكريم يُعلم إلى فئتين من الناس:

الفئة الأولى وهي: التي يشترك فيها غالب المسلمين، وهم الذين يتعلمونه عن طريق التلقي والحفظ غيباً، أو من خلال الاطلاع على رسمه في المصحف الشريف.

أما الفئة الثانية فهي: التي تتعلم القرآن الكريم قراءة وكتابة، وتتميز هذه الفئة من الفئة الأولى بالتركيز على الكتابة والتي من خلالها يتعلم الطفل القرآن كتابة وحفظاً.

(1) ابن بشر. عنوان المجد في تاريخ نجد، ص 218.

ويلي القرآن الكريم عند الفئة الثانية تعلّم الخط والإملاء، ومبادئ وقواعد علم الحساب، لحاجة الناس إلى هذه العلوم في تسيير معاشهم. ولم يكن لتلك الفئة سن محددة بل هي راجعة إلى مدى حاجة والد الطفل لتعلّم ابنه، وإن كان هذا فيما يبدو خاصاً بالبنين فقط. أما البنات يكتفي، فيما يظهر، بتعليمهن القرآن الكريم وحفظ ما يُتطلبُ منهن لأداء الصلاة.

وكان يُدفع بالطفل عندما يكبر ويبلغ أشده ويرغب أهله في استزادته من العلم إلى عالم البلدة، أو شيخها؛ ليتعلم عليه مبادئ الفقه. وقد كان الغالب في هذه المرحلة أن الفقه السائد في الدرعية هو المذهب الحنبلي، مع العلم أن التركيز على الفقه وحده قد تقلص بعد قيام الدعوة التي كان يدعو لها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأصبح التركيز ينصب على كتب التوحيد والعقائد التي كانت غائبة عن علماء الدرعية قبل الدعوة، فضلاً عن علماء نجد كلها، ولعل الاستثناء من ذلك ما قام به الشيخ عثمان بن قائد الذي ألف رسالة أسماها: "نجاة الخلف باعتقاد السلف".

أما العلوم الأخرى كعلم الحديث والتفسير وبعض علوم اللغة العربية فكان الاهتمام بها كالاتتمام بكتب التوحيد والعقائد قبل الدعوة. ويبدو أن الاهتمام بعلوم الفقه وحدها قد أدى إلى نتيجة تمثلت في إهمال علم التوحيد والعقائد، مما نتج عنه انتشار الشوكيات والبدع المحدثّة في نجد، وهو ما قاومته الدعوة السلفية بعد ذلك بقوة.

وقد أخذ علماء الدعوة بطرف من علم التاريخ، حيث أدرك بعض علماء الأقاليم أهمية ذلك العلم على الرغم من أنهم قدموا إلى الدرعية للتدريس في مجال آخر غير مجال التاريخ، ومنهم مؤرخ الدعوة والدولة السعودية الأولى، الشيخ حسين بن غنام، الذي قدم إلى الدرعية؛ لتدريس علوم اللغة العربية، إلا أنه ألف تاريخاً أصبح حجة في تاريخ الدعوة، ثم خلفه الشيخ عثمان بن بشر، الذي فاق شيخه في كتابه التاريخ، وكتب مقدمة وافيه ذكر فيها أسباب عنايته بهذا العلم الذي قصر فيه علماء نجد ولم يولوه الاهتمام المناسب.

## الكتب والمكتبات وما يتعلق بهما:

ربيع الأول - جمادي الآخرة 1431 هـ

الدرعية

السنة الثالثة عشرة



عنيت الدولة السعودية في عهدها الأول بتشجيع العلم وطلبه وكان من أولى ضرورياته الكتب، إذ كانت هناك حركة وراقة مزدهرة نتيجة إلى الحاجة إلى هذه الكتب، خاصة للطلاب. وقد كان يتم تأمين الكتب لطلاب المرحلة الثانية من مراحل التعليم المبكر أي مرحلة ما بعد معرفة الكتابة واستخدام الألواح في ذلك.

يشكل الاهتمام بالكتاب نوعاً من أنواع العناية بالعلم والعلماء، لهذا فليس بمستغرب أن يهتم الحكام والعلماء في الدرعية بالمخطوطات جمعاً ونسخاً، وقد رُفد هذا الاهتمام وهذا الحرص بتشجيع حكام الدرعية وأئمتها من آل سعود، ومن تبعهم من أئمة الدعوة السلفية، من زمن الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى عهد أبنائه ومن عاصرهم من العلماء. ولا يخفي أن الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود، كان من تلاميذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب قبل أن يقدم الشيخ إلى الدرعية<sup>(1)</sup>، ويعقد مع حاكمها الإمام محمد بن سعود تلك المعاهدة التي اشتهرت في بعض المصادر بميثاق الدرعية، وكان ذلك في عام 1157هـ / 1744م.

وكان لدعم الإمام محمد بن سعود (ت 1179هـ / 1765م) والشيخ محمد بن عبد الوهاب (ت 1206هـ / 1791م) أكبر الأثر في تشجيع العلم والحث عليه، وهذا العلم لا بد له من آلة أو واسطة لنقله، لذا كان للورق، أو ما اشتهر في نجد بتسميه بالقرطاس أكبر الأثر في انتشار العلم، وقد سهل الأئمة والحكام جلب الأوراق والقرطاس، من مظانها، وأشهر مكان تجلب منه الأوراق منطقة الحجاز، ومكة على وجه الخصوص في موسم الحج، ثم الأحساء عن طريق العراق أو الهند، وكون مكة هي أهم مصادر جلب الورق وتوفره فهو أمر غير مستغرب، إذا علمنا أن موسم الحج كان يشهد قدوم كثير من التجار وغيرهم ممن يبيع الورق على العلماء في مكة أو على العلماء الوافدين إليها من الآفاق. ومما دعاني لقول ذلك، القياس على رسالة اطلعت عليها من الإمام فيصل ابن تركي (ت 1282هـ / 1865م) - رحمه الله - مرسلة إلى المؤرخ المشهور عثمان بن بشر، يخبره فيها أن التأخر في إرسال القرطاس، كان بسبب تأخر الحجاج القادمين إلى نجد، ويظهر من ذلك أن الأئمة كانوا يوصون بجلب

(1) ابن غنام، حسين. روضة الأفكار والأفهام لمرئاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام. - الرياض: المكتبة الأهلية، 1386هـ / 1949م، 222/1.

لفائف القرطاس، لأجل توزيعها على العلماء وطلبة العلم<sup>(1)</sup>، ولعل الورق أو القرطاس - كما يشتهر في الدرعية - كان هو تقريباً ما لم يستطع العلماء وطلبة العلم الحصول عليه إلا بدعم خاص من الأئمة، أو تحين الموسرين من سكان المنطقة، أو التجار في جلبة ويعة على طلبة العلم. كما أمدنا الشعر النبطي بمنطقتين استشهد بهما الشعراء كثيراً في شعرهم هما الشام وتركيا، التي يعبر عن الأخيرة منهما في شعر أولئك ببلاد الروم<sup>(2)</sup>.

أما غيرها من المواد المعينة في الكتابة فأمر توافرها والحصول عليها متيسر مقارنة بالورق الذي لم يصنع في المنطقة. أما غيره من المواد، فالأقلام على سبيل التمثيل تصنع من نباتات القصب وهي مادة متوفرة في البيئة المحلية وسهلة التصنيع، والحبر يستخرج من نباتات ومواد محلية يسهل على أصغر طالب علم تجهيزها، لهذا فلا إشكال في تأمين غالبية الاحتياجات، باستثناء الورق.

وكان لقيام الدولة السعودية الأولى (1157-1233هـ / 1744-1818م) والدعوة السلفية أكبر الأثر في قيام طبقة من طلبة العلم ممن امتحن عملية النسخ بهدف تأمين الكتب والمخطوطات للطلاب؛ ولعل الناظر فيما كان يعمل به الإمام عبد العزيز بن محمد، حين كان يشجع صغار طلبة العلم من حفظ القرآن في الدرعية وبحثهم على الاستزادة من طلب العلم، ثم تخصيصه للجوائز التشجيعية

(1) وثيقة رقم HAT.3607- E من أرشيف رئاسة الوزراء بتركيا. ونص الوثيقة التي هي عبارة عن رسالة مرسله من الإمام فيصل بن تركي (1203-1282هـ) إلى المؤرخ ابن بشر (1210-1290هـ) يذكر فيها إرساله قرطاساً له. جاء فيها: "بسم الله الرحمن الرحيم: من فيصل بن تركي إلى الأخ الكريم عثمان بن بشر سلمه الله تعالى، سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وموجب الخط إبلاغك السلام والسؤال عن حالك والخط وصل وصلك الله إلى خير، وما ذكرته صار لدينا معلوم ومن قبل بروة القاعدة وأصلتك من رأس الزكاة إن شاء الله، ومن قبل القرطاس فالشيء قليل وواصلك نصف ربطة والنصف الثاني إيلاً [إلي] ما يطب الحاج إن شاء الله ويجيبك وأنت طيب.... هذا ولا تنسانا من صالح الدعاء، وسلم لي على من عندك ومن عندنا من الأولاد والمشايخ..." وتاريخ الرسالة غير واضح.

(2) المنيف، عبد الله بن محمد. صناعة المخطوطات النجدية: دراسة أثرية فنية، رسالة دكتوراه غير منشورة، قسم الآثار، كلية السياحة والآثار، جامعة الملك سعود، شهر ذي القعدة 1427هـ / ديسمبر 2006م، ص 134. والبيتان اللذان استشهد بهما هما:

باح العزا يا ذيب قم دن الأوراق قرطاس شام صافي تقل غرنوق  
والبيت الثاني:

هذاني دنيت القلم والدواني وأدنيت كاغد روم وابدت مكتوبي

لكل طالب منهم خاصة من كان جيد الخط، فمن كان خطه جميلاً كان عطاؤه له أكبر عن غيره، والذي أشرت إليه من قبل<sup>(1)</sup>.

وهذا الاهتمام كان له أكبر الأثر في أن تصبح الدرعية مركزاً من مراكز العلم، فبعد أن كان طالب العلم النجدي يتكبد عناء السفر والرحلة في طلب العلم إلى بعض الأقاليم داخل الجزيرة العربية مثل: الحجاز أو الإحساء أو اليمن، أو إلى خارجها، مثل: مصر والشام أو العراق، وكان ذلك قبل قيام الدعوة السلفية، أما بعد الدعوة فانقلب الحال فلا نكاد نجد عالماً أو طالب علم يرحل خارج الجزيرة العربية، بل أصبحت الأنظار تتجه إلى الدرعية مجمع العلماء ومقر الحكم وقاعدة الدولة<sup>(2)</sup>.

ومن هذا المنطلق ومع كثرة العلماء فقد أوجد ذلك جملة من النساخ في الدرعية أمكن تقسيمهم إلى أربعة أنواع:

1- العلماء النساخ.

2- القضاة النساخ.

3- طلبة العلم النساخ.

4- الممتهنون النساخ.

(1) ابن بشر، عثمان بن عبد الله. عنوان المجد في تاريخ نجد؛ تقديم عبد الله بن محمد المنيف. - ط1. - الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة، 1423هـ/ 2002م، ص176.

(2) للمزيد عن الرحلة ومن قام بها يمكن النظر في: العيسى، مي بنت عبد العزيز، الحياة العلمية في نجد منذ قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحتى نهاية الدولة السعودية الأولى. - ط1. - الرياض: دار الملك عبد العزيز، 1413هـ، ص42. والمنيف. صناعة المخطوطات النجدية، ص40-51.

وإن كان هذا التقسيم ليس ظاهراً في شكله هذا الذي أذهب إليه بشكل صريح، وإنما هو تقسيم اهتديت إليه واستقر عليه رأيي بعد أن تتبعته حال هؤلاء النساخ<sup>(1)</sup>، ولذلك قسمتهم بحسب ما اشتهر عنهم، وإلا قد نجد عالماً ناسخاً للكتب، قاضياً<sup>(2)</sup>، أو محتسباً في نسخ الكتب، لهذا كانت هذه الأنواع هي أشهر ما يمكن ذكره في هذا البحث.

وأخلص إلى القول: إن الغازي - أي غاز - لبلد أو منطقة عندما يريد أن يجتاحها لا يفكر في اجتياحها الوقي والسريع؛ بل يهدف من ذلك اجتثاث خصمه من أساسه، خصوصاً إذا علم هذا الغازي أن من يغزوه ذو جذور ضاربة في الأرض، إما بسبب التمكين الإلهي، وإما بأسباب دينية وثقافية وسياسية أخرى متعددة، فإن عملية اجتثاث هذا الأمر ليست بالأمر السهل، لهذا تحسن المقاربة بعض الشيء بين ما تعرضت له الدرعية والمدن النجدية الأخرى<sup>(3)</sup>، عندما غزتها القوات المصرية بأمر من السلطان العثماني، وبين ما تعرضت له بغداد دار السلام عام 656هـ / 1258م، حين اجتاحتها المغول بقيادة هولاكو وقتلهم الخليفة العباسي المستعصم بالله<sup>(4)</sup>، ورموا - بحسب الروايات - غالبية المخطوطات في نهر دجلة<sup>(5)</sup>. لهذا فالحدث يتكرر مرات متعددة من لدن الغزاة، فإن أول ما يسعون إلى تحطيمه هو ما تحمله تلك الدعوة من أفكار ومبادئ خوفاً من إحيائها مرة أخرى، فكان أن قلده المتأخر سلفه بأن

(1) ولعل خير من يمثل ذلك هو شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، الذي كان في مرحلة من حياته ينسخ المخطوطات بالأجرة؛ ليحصل مقابل ذلك على مال يمكنه من بلوغ بلده. ابن عبد الوهاب، عبد الرحمن ابن حسن بن محمد. المقامات؛ دراسة وتحقيق عبد الله بن محمد المطوع. - ط1. - الرياض: دار الملك عبد العزيز، 1426هـ / 2005م، ص83.

(2) للمزيد عن هذا يمكن النظر في: المنيف. صناعة المخطوطات النجدية، ص212-356.

(3) سوف أورد نصاً كما جاء في مصدره وهو: "... وحُبس الشيخ عبد العزيز بن سليمان بن عبد الوهاب في حريملاء ونُهب بيته وأخذوا من بيته خزائنه كتب عظيمة، فأخذوا أُنزلي، قاضي حسين منها أحمالاً وأشعلوا النار في باقيها وعذب بالضرب وأنواع العذاب..." انظر ابن بشر. عنوان المجد، ص276.

(4) الذهبي، محمد بن أحمد. سير أعلام النبلاء؛ تحقيق بشار عواد معروف ومحيي الدين هلال السرحان. - ط1. - بيروت: مؤسسة الرسالة، 1422هـ / 2001م، ج3، ص174، 184.

(5) الجبوري، يحيى وهيب. الكتاب في الحضارة الإسلامية. - ط1. - بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998م، ص315، 316.

جمع تلك المخطوطات وعمل على فرزها وأخذ ما يتعلق منها بالعلوم الشرعية بجميع فنونها المختلفة، من عقيدة وحديث وفقه وغيرها من العلوم، أما ما يتعلق بكتب الشيخ محمد ابن عبد الوهاب، وغيرها من كتب أئمة الدعوة السلفية فكان نصيبها الحرق، فحملت تلك الكتب إلى الحجاز، ثم أعقب هذا الجمع جمع آخر تم في حملة محافظ المدينة حسين بك<sup>(1)</sup> على نجد، الذي قام على جمعها قاضي الحملة، محمد أمين زيله زاده، الذي سماه ابن بشر بالزللي قاضي حسين<sup>(2)</sup>.

أما طرق تأمين المخطوطات نفسها فقد كانت عن طريق شرائها من المناطق التي سبقت الدرعية كونها مقراً للعلم والعلماء كأشيقر أو الرياض أو العيينة، أو عن طريق جلب الكتب من خلال الشراء إما من بلاد الحرمين أو الإحساء أو الزبير وجنوب العراق أو عن طريق الشام، حيث كان كثير من علماء نجد ينهلون العلم من علمائها ومدارسها ومساجدها قبل أن تصبح الدرعية مركز العلم في وسط نجد. ويشير إلى ذلك أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب عند لقائه بالشيخ عبد الله بن سيف من أهل الجمعة في المدينة المنورة الذي أدخله منزلاً كان مليئاً بالكتب، قائلاً: "أتريد أن أريك سلاحاً كنت أعدته

(1) لا يعرف له تاريخ مولد، أما وفاته فكانت في يوم الأحد 3 شعبان 1241 هـ الموافق 12 مارس 1826 م، أحد أشهر قادة الحملة المصرية على الدولة السعودية الأولى، ضمن جيش إبراهيم باشا بن محمد علي، ينظر: طوسون، عمر. الجيش المصري البري والبحري. - القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، 2005 م، ص 150-152. وطوسون، عمر. "حرب اليونان 1823-1828 م". مجلة الجيش المصري، مج 4، ع 1، أكتوبر 1941 م، ص 154.

(2) محمد أمين بن حبيب الزلي المدني الخطيب، أو الزيلة لي. ولد في 23 جمادي الأولى 1188 هـ، الموافق 31 يوليو 1774 م، كان قاضياً لحملة حسين بك على الدولة السعودية الأولى، ولا يعرف على وجه اليقين تاريخ وفاته إلا أن المرجح أنها بعد عام 1222 هـ وقيل غير ذلك التاريخ. ولمعرفة المزيد عن شخصيته يمكن الرجوع إلى: ابن بشر: عنوان الحمد، ص 276. والبيطار، عبد الرزاق حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر؛ حققه ونسقه وعلق عليه محمد بهجة البيطار. - ط 2. - بيروت: دار صادر، 1413 هـ / 1993 م، ج 3 ص 1195-1201.

للمجموعة؟<sup>(1)</sup>. ويدل ذلك على الحرص على اقتناء المخطوطات ونقلها إلى نجد أو إلى الدرعية على وجه الخصوص.

برزت نتيجة لهذه الحركة العلمية وانتشار العلم وظهور العلماء في الدرعية كثير من دور الكتب أو المكتبات. ولا يخفى أن مثل هذا العدد من العلماء وطلبة العلم لا بد أن يوازيه توافر كثير من متطلبات هذه الحركة، فكان الكتاب المخطوط أول تلك المطالب، ويدل على أن الدرعية ضمت مكتبات مهمة، ما أشار إليه المؤرخ ابن بشر عند حديثه عن حصار الدرعية ومن ثم سقوطها، من قيام عساكر القوات المصرية من حمل كثير من الكتب من بيت الإمام عبد الله بن سعود بغرض إرسالها إلى مصر، إلا أنهم عندما وصلوا مدينة حرملاء انتقوا من الكتب عشرة أحمال وأحرقوا الباقي<sup>(2)</sup> ويدل ذلك على ضخامة هذه الكتب وكثرة عددها.

وقد بلغت شهرة مكتبات الدرعية خارج الجزيرة العربية حتى أشار الرحالة إلى ذلك بقوله: "ما من مخطوطة في التاريخ والعلوم الدينية، وجدت في مكة والمدينة أو مدن اليمن إلا وسارعت الدولة

(1) ابن بشر. عنوان المجد في تاريخ نجد، ج 1، ص 35.

(2) آل إسماعيل، محمد بن عبد الرحمن. إنجاز الوعد بذكر الإضافات والاستدراكات على من كتب عن علماء نجد، ص 80. وعن تلك الكتب التي حملت إلى جدة، ومن ثم أودعت في المكتبة المحمودية في المدينة المنورة ينظر: مكتبة الملك عبد العزيز العامة: مكتبة الإمام عبد الله بن سعود. - ط 1. - الرياض: المكتبة نفسها، 1427 هـ. ودارة الدكتور سلطان بن محمد القاسمي للدراسات الخليجية: كتب من الدرعية؛ قائمتا كتب إسلامية من الدرعية منقولة إلى المدينة المنورة، المحرم 1238 هـ، أكتوبر 1822 م. - ط 1. - الشارقة: دار الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، 1430 هـ/ 2009 م.

السعودية إلى شرائها وحملها إلى الدرعية. ويقول إن مكتبة الإمام سعود كانت تعد في ذلك الوقت أغنى المكتبات بدون منازع بالنسبة للمخطوطات العربية التي تعالج موضوعات تاريخية<sup>(1)</sup>.

(1) عثمان، زاهر. وضع تاريخ العمران بمدينة الرياض، الدارة، ع2، سنة 22-1417هـ، ص109، نقلا عن الشعفي، محمد سعيد، "كتاب بوركهارت كمصدر تاريخي واقتصادي للدولة السعودية الأولى". مصادر تاريخ الجزيرة العربية، مج2، ص455. انظر كتاب بوركهارت المنشور بعنوان: رحلات في شبه جزيرة العرب؛ ترجمة عبد العزيز أهلابي وعبد الرحمن الشيخ. - بيروت: مؤسسة الرسالة، 1413هـ، ص195-196: ونص بوركهارت، "وقد حمل السلفيون وفقاً لما تذكره التقارير كثيراً من أحمال الكتب، كما يُذكر أيضاً أنهم كانوا يدفعون ثمن كل شيء أخذوه.... ويقال إن السلفيين بالذات كانوا يبحثون بصفة خاصة عن كتب التاريخ، وقد سمعت هذه الملاحظة ذاتها تتكرر في المدينة، وخلال إقامتي في دمشق التي تعد أثري أسواق الكتب في الشرق، وأخصها؛ لأن الأوربيين لا يترددون عليها إلا قليلاً- سمعت أن بضعة رجال من أهل بغداد بعثهم سعود زعيم السلفيين قد اشتروا كثيراً من كتب التاريخ، وعندما أغار عبد الوهاب أو نقطة على موانئ اليمن، حمل منها عدداً كبيراً وأرسلها إلى الدرعية".

## الخاتمة:

يتبين مما ذكرناه، أن الحياة العلمية في الدرعية كانت مزدهرة جداً، وتناقص أو انعدم ما كان معروفاً عند كثير من علماء نجد، وهو الرحلة في طلب العلم خارج نجد أولاً، ثم خارج الجزيرة العربية ثانياً. لهذا برز في هذه المرحلة من التاريخ أن الدرعية أصبحت مركز العلم ووجهته، بعد أن غدت مركز الحكم ومستقره، كما برز أيضاً وبما هو متوافر في كثير من المراكز العلمية في المملكة العربية السعودية أو خارجها أن لعلماء الدرعية، فضلاً عن أئمتها والموسرين فيها، الذين كانوا يتقربون إلى الله بعمل الخير كوقف الكتب مثلاً على الطلاب غير القادرين ووقف مكتبات كبيرة تلبي طلبات العلماء وطلبة العلم، وتدل على ما وصلت إليه الدرعية عاصمة الدولة السعودية الأولى، ومقر الحكم في وسط نجد والجزيرة كلها من تقدم علمي، وحرص على تأمين الكتب: ليسهل الاستفادة منها، والاطلاع عليها بما يتناسب مع مركز العلم والعلماء في ذلك الوقت.



## المصادر والمراجع

- 1- الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية. دار الملك عبد العزيز. - ط2. - الرياض: الدارة, 1421هـ.
- 2- آل إسماعيل, محمد بن عبد الرحمن. إنجاز الوعد بذكر الإضافات والاستدراكات على من كتب عن علماء نجد. - ط1. - الرياض: مكتبة المعارف, 1405هـ.
- 3- البسيمي, عبد الله بن بسام. العلماء والكتاب في أشيقر خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريين. - ط1. - الرياض: دار طيبة, 1420هـ.
- 4- ابن بشر, عثمان بن عبد الله. عنوان المجد في تاريخ نجد؛ تقديم عبد الله بن محمد المنيف. - ط1. - الرياض: مكتبة الملك عبد العزيز العامة, 1423هـ / 2002م.
- 5- البليهد, عبد الرحمن. غسله بالقرائن: بلد الأجداد والآباء والأجداد. - ط1. - الرياض: دار الفیصل, 1422هـ / 2002م.
- 6- ابن بهرام الدمشقي, أبو بكر. جزيرة العرب في كتاب مختصر الجغرافيا الكبير؛ ترجمة مسعد بن سويلم الشامان. - ط1. - الرياض: مركز حمد الجاسر الثقافي, 1428هـ / 2007م.
- 7- بوركهارت, جُون لويس. رحلات في شبه جزيرة العرب؛ ترجمة عبد العزيز بن صالح الهلابي وعبد الرحمن عبد الله الشيخ. - بيروت: مؤسسة الرسالة, 1413هـ / 1992م.

- 8- بوركهارت, جُون لويس. ملاحظات عن البدو والوهابيين؛ ترجمة غاندي المهتار. - ط1. - بيروت: دار الانتشار العربي, 2005م.
- 9- البيطار, عبد الرزاق. حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر؛ حققه ونسقه وعلق عليه محمد بهجة البيطار. - ط2. - بيروت: دار صادر, 1413هـ / 1993م.
- 10- الجاسر, حمد. "طريقة التعليم", المجلة العربية, الحلقة رقم(15) من "سوانح الذكريات", سنة 11, ع116, شهر رمضان/ أيار(مايو), 1978م.
- 11- الجاسر, حمد. "مدرسة الصقعي", المجلة العربية, الحلقة رقم(20) من "سوانح الذكريات", سنة 11, ع121.
- 12- الجبوري, يحيى وهيب. الكتاب في الحضارة الإسلامية. - ط1 - بيروت: دار الغرب الإسلامي, 1998م.
- 13- دارة الدكتور سلطان بن محمد ألقاسمي للدراسات الخليجية. كتب من الدرعية؛ قائمتا كتب إسلامية من الدرعية منقولة إلى المدينة المنورة, المحرم 1238هـ, أكتوبر 1822م. - ط1. - الشارقة: دارة الدكتور سلطان بن محمد القاسمي, 1430هـ / 2009م.
- 14- الدوسري, إبراهيم بن صالح المجادة. الأفلاج. - ط1. - الرياض: الرئاسة العامة لرعاية الشباب, 1411هـ / 1990م (سلسلة هذه بلادنا؛ 27).
- 15- الحميضي, ناصر. القصب. - ط2. - الرياض: الرئاسة العامة لرعاية الشباب, 1419هـ - (سلسلة هذه بلادنا؛ 33).

- 16- ابن خميس, عبد الله بن محمد. معجم الإمامة. - ط2. - الرياض: مطابع الفرزدق, 1400/1980م.
- 17- أبو داهش, عبد الله بن محمد. الحركة العلمية والادبية بمنطقة عسير في عهد الملك عبد العزيز (1338-1373هـ). - ط1. - أبها: مطابع الجنوب, 1421هـ.
- 18- الذهبي, محمد بن أحمد. سير أعلام النبلاء؛ تحقيق بشار عواد معروف ومحيي الدين هلال السرحان. - ط11. - بيروت: مؤسسة الرسالة, 1422هـ/2001م.
- 19- السلمان, محمد. عنيزة. - ط2. - الرياض: الرئاسة العامة لرعاية الشباب, 1419هـ/1999م (سلسلة هذه بلادنا).
- 20- السويداء. نجد في الأمس القريب صور وملامح من أطر الحياة السائدة قبل ثلاثين عاما. - ط1. - الرياض: دار العلوم, 1403هـ/1983م.
- 21- صحيح مسلم. - ط2. - الرياض: دارس السلام, باب: (ما يلحق الإنسان من الثواب بعد وفاته), رقمه (4223).
- 22- طوسون, عمر. الجيش المصري البري والبحري. - القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية, 2005م.
- 23- طوسون. عمر. "حرب اليونان 1823-1828م", مجلة الجيش المصري, مج4, ع1, أكتوبر 1941م.
- 24- ابن عبد الوهاب, عبد الرحمن بن حسن بن محمد. المقامات؛ دراسة وتحقيق عبد الله بن محمد المطوع. - ط1. - الرياض: دار الملك عبد العزيز, 1426هـ/2005م.

- 25- عثمان, زاهر. وضع تاريخ العمران بمدينة الرياض, الدارة, ع2, سنة 22- 1417هـ.
- 26- ابن عيسى, إبراهيم بن صالح. كناش مخطوط, يعرف بمجموع ابن عيسى.
- 27- العيسى, مي بنت عبد العزيز. الحياة العلمية في نجد منذ قيام دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وحتى نهاية الدولة السعودية الأولى. - ط1. - الرياض: دار الملك عبد العزيز, 1413هـ.
- 28- ابن غنام, حسين. روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإسلام. - الرياض: المكتبة الأهلية, 1368هـ/ 1949م.
- 29- غنيم, عبد العزيز. الكتاتيب في الإسلام: نشأتها وتطورها. مجلة المنهل, ربيع الآخر- جمادي الأولى, 1409هـ, ع567, السنة 55, المجلد 50.
- 30- فالين, جورج أوغست. صور من شمال جزيرة العرب في منتصف القرن التاسع عشر, ترجمة سمير سليم شبلي. - ط1. - بيروت: أوراق لبنانية, 1971م.
- 31- الفيروز أبادي, القاموس المحيط. - ط6. - بيروت: مؤسسة الرسالة, 1419هـ/ 1998م. - مادة (كتب).
- 32- القحطاني, فاطمة بنت حسين. حصار إبراهيم باشا للدرعية وسقوطها 1233هـ/ 1818م, رسالة ماجستير, غير منشورة, قسم التاريخ, كلية الآداب, جامعة الملك سعود, شوال 1427هـ.

- 33- المطلق, لطيفة. الحياة العلمية في نجد وأثرها على المجتمع في النصف الثاني من القرن الثالث عشر الهجري/ التاسع عشر الميلادي, رسالة دكتوراه غير منشورة, كلية الآداب للبنات بالدمام, الرئاسة العامة لتعليم البنات, 1415هـ/ 1994م.
- 34- المطوع, عبد الله محمد. مجتمع الدرعية في عهد الدولة السعودية الأولى. - ط1. - الرياض: الجمعية التاريخية السعودية, الإصدار الرابع عشر, المحرم 1424هـ/ مارس 2003م.
- 35- المغنم, علي بن صالح. حي الطريف التاريخي بالدرعية, "وثيقة حضارية أثرية في تاريخ المملكة العربية السعودية الوطني", (انظر: عدد مجلة الدرعية الخاص عن تاريخ مدينة الدرعية).
- 36- مكتبة الملك عبد العزيز العامة. مكتبة الإمام عبد الله بن سعود. - ط1. - الرياض: المكتبة نفسها, 1427هـ.
- 37- ابن منظور. لسان العرب. - ط2. - بيروت: دار إحياء التراث العربي؛ مؤسسة التاريخ العربي, 1418هـ/ 1997م.
- 38- المنيف, عبد الله بن محمد. صناعة المخطوطات النجدية: دراسة أثرية فنية, دراسة دكتوراه غير منشورة, قسم الآثار, كلية الساحة والآثار, جامعة الملك سعود, 1427هـ/ 2006م.
- 39- الوليعي, عبد الله بن ناصر. الشماسية. - ط1. - الرياض: الرئاسة العامة لرعاية الشباب (سلسلة هذه بلادنا) - (25).

40- يوسف, سعود بن عبد الرحمن.- من آثار علماء أشيقر.- ط1.- الرياض: دار الرشيد,  
1423هـ / 2003م.